دراسة أدبية

تمزقات الحضراني (1-3)

في الديوان «القطوف الدواني من شعر إبراهيم الحضراني» تتناول قصائد الشاعر الكبير إبراهيم موضوعات عديدة منها:

الوطنية والقومية والغزل والشخصية والغنائيات.وهي موضوعات عادية نجدها عند غالبية الشعراء التقليديين الذين عاشوا في خضم حركات التحرر العربية وناضلوا من أجلها.

لكن ما ليس بعادي هو الشاعر نفسه، فقد بلغ من الذكاء إلى حد تجاوز أمة بأسرها، وتاريخ بأكمله وبلغ من الفضيلة حد الشهادة ومن العطف حد الفجيعة. وما هذه السطور الا محاولة لبرهنة ذلك من خلال نصوص الديوان.

عبدالوهاب الحراسي

في البدء كان السؤال:
انه يسأل لانه يحزن، يتفجع، يحتج، يرتجف، يحلم ويحدق ويثور، انه يحزن،يتفجع، يرفض يحتج ويرتجف ويثور لأنه يسأل.
هذا هو الإنسان الشاعر الحضراني.. والذي افترض انه لم يصغ لصرخات الثورة من أفواه رفاقه وزملائه في ثورة ٤٨.. بل لم يصغ الى كل الصرخات التي في كل أفواه الثوار لكل الثورات.
ويبدو انه قد اختار أن يبدأ من الصفر ليعرف الحقيقة (الله ولوجود،بؤس الانسان اليمني في ٤٨) اختار ان يسأل عن كل هذا.. ان يسأل عن الثورة، مفهومها، اسلوبها، انه يسأل عن كل ذلك في سؤاله عن نفسه:

"وربما كان ما احس من الآلام — وهما أوحى به تفكيري
فلعلي اعيش في كنف النعماء — ولكن أخطأت في تقديري
ولقد مر بي زمان توهمت — بأني في ظل عيش نظير
ناعم البال رفرفت حولي الفرحة — والبشريات حول سريري"
(ص٥)

أليس هذا التساؤل يشير إلى التشكك؟ انه كذلك لأنه لايطيق احتمال تلك الآلام، تلك الأسئلة، تلك المشاعر العنيفة والقاسية والثقيلة عليه ولم يقدر تجاهها الا بالبوح... للإنسانية ولأمته وللنظام الأمامي:

"ياليتني ماعرفت الهوى — وليتني ماشهدت الوجود
لأي شيء رب أوجدتني — أللشقاء ياترى ام سعود؟

وهذه الأحلام ماشأنها — وأي شيء بعد حين تعود؟"
(ص٧٠)

انه يسأل لأنه يتمزق ويرتجف ، انه يتمزق ويرتجف لأنه يسأل لانه يحتج، يرفض ويثور.
فكيف يمكن ان يصغي لرفاقه الثوار في كل التاريخ ماداموا لاينطلقون من السؤال، بل من طموحهم ومصالحهم اولا وقبل كل شيء ثم من الإنسان ثانيا او عاشرا.
انه يتمزق ويرتجف ويحتج ويرفض ويثور لانه لايمكنه الا ان يتمزق ويرتجف ويحتج ويرفض ويثور مادام" انساناً". انه إنسان بكل معاني وتفاسير واحتمالات هذه الكلمة .. انسان.
انه انسان لأنه يشكك لانه يسأل. وان كل إجابة يصل اليها ليست الا ضحية مؤجلة لافتراس السؤال وهكذا في النهاية سيكون السؤال وهانحن قد بدأنا رحلتنا مع هذا الانسان.
من سؤال البدء، حيرة البدء، تمزق البدء، لا أدرية البدء، وهذه خطوة أخرى:

"ما الذي تبغيه مني ياقدر؟ — قبل أن أقضي من العيش وطر
لي آمال اذا لم اقضها — بقيت في القلب ناراً تستعر

لا ابالي جنة الفردوس ان — فرشت لي، ولا اخشى سقر"
(ص٧٢)

انه لايبالي بالفعل، ليس حماسيا، وإنما معرفيا، فهو يتوقف عند الموت ولايتجاوزه:

"ثم نمضي في خضم الأبدية
حيثما تفنى الحياة ...."(ص٨٥)

ويرى فيه (أي الموت) المساواة المطلقة التي بتطبقاها على كل كائن حي نذهب:

"إلى رحاب لانرى عندها — عبداً يقاسي الجور او سيدا"
(ص١٣٩)

إنه انسان لانه يتمزق، يبكي، يتفجع ويرتجف، فمن حقه الخلاص بكل اشكال واحتمالات وتفاسير واساليب واخلاق كلمة الخلاص.
الخلاص البائس... الخلاص المستحيل من التمزق النفسي والفكري الذي وصل الى ذروته في هذا النص:

"ادمنتك يامسكين — وأنا المسكين
لا ادري من منا المورفين — أنت المورفين
..... — .....
انسي؟ افتنصحني أنسى — لا أنسى
هل ينسى الجمرة من يصلى؟ — لاينسى
قل لي: من حاك لنا المأساة؟ — اتقول الله؟
كلا، الله لنا الله — لاشيء سواه
سلم بالواقع يا لاه — فهناك اله
من اتقن صنعا للاشيا — من احيا ؟

ويستمر في البرهنة عن وجود الله "....."
وفي النهاية – حتى بالنسبة للنص – يطلب من ...؟ الخلاص المستحيل:
يا معين الضنى ... "(١٠٧,١٠٨)
–هكذا يترك هذه العبارة الصوفية المشهورة–التي هي نهاية النص– ليس لانها معروفة وحسب، بل لانه يعرف بأن طلبه للخلاص مستحيل، فلم يكمل العبارة:"اعني على الضنى"
انه يتعب، ينهك،ييأس،يستسلم او ينهار لانه انسان. لكنه–للسبب ذاته– لايتبلد:

"يعيش في هامش الايام ماعرف الدنيا، ومازال يمشي وهو حيران
الا خيالات اوهام يصورها — غير الحقيقة إحساس ووجدان
ياقوم ان حياتي كلها حلم — وإنني–من عجيب الأمر–يقظان
وربما كانت الدنيا بأجمعها — حلما سترويه أجيال وأزمان
هو الوجود ولكن كله عدم — وان اضعف شيء فيه إنسان

إنه على الرغم من يأسه واستسلامه وربما انهياره مازال يقظا، فها هو يكتشف–في وقت مبكر جداً (١٩٤٥م)–سبابا آخر سرع من استسلامه.. من انهياره:

"يا ويح قلبي عميق الحزن ليس له — من ماهو فوق الارض سلوان
لم يهو الابطولات يشاد بها — للعلم ركن ، وللأخلاق بنيان
اوعبقرية حر ان هي اكتشفت — امرا بدا وعليه لاح اتقان"
(١٧٥,٧٤،بتاريخ ١٩٤٥م)

انه في البيت الأول يستسلم، بل ينهار في حزن عميق، لكنه ليس غبياً او بليداً حتى ينسى مشروعه (البطولي)–في البيت الثاني– تأسيس العلم،بناء جديد للأخلاق، وهو مشروع بطولي بالفعل اونظرنا إليه في ظل الحكم الأمامي الذي حرم وأدان الحرية حتى حرية التفكير ومشروع المعتقد.
ان الاستسلام او الرضا بالانهيار هو خلاص الشاعر المفكر الأنسان المغامر إبراهيم.
انه يمعن في خلاصة (أي استسلامه ورضاه بانهياره) بإباء تارة وبذل وخضوع تارات اخرى:

"لا ابالي خيرها من شرها — انا من دنيا الورى اسمى جنابا
سمجت عندي فلا يكسبني — خيرها زهوا ولا الشر اكتئابا(!!)

كيف هذا؟! هل اصبح بليداً؟لا،بل حتى لم يختر ان يكون بليداً في البيت الاخير وانما هو يشير الى شدة ياسه واستسلامه حتى يعترف ذليلاً خاضعا:

"غلب الايام والدهر فتى — يتحرى في مباديه الصوابا"
(ص١٨٧،ت١٩٤٧م)

وبعد سنين يعترف متأوهاً:

"تاهت خطاي بمهمة لاينتهي — فنيت فيه تأوها ومدامعا"
(ص٨٥ت١٩٥٠م)

وماذا بعد ...؟ لا شيء ابداً باستثناء العودة من جديد–بعد اكثر من ثلاثين عاماً منذ ١٩٥٠م وخلالها– للسؤال، للتمزق،للرفض،للتفجع،للتمرد، للارتجاف وطلب الخلاص، لاشيء سوى العود الابدي لكونه انسانا ولديمومته الإنسانية:

"وبحثت عماذا؟ لقد اوشكت ان — أعيا، وأوشكت الخطى تتعثر
لاشيء غير رؤى تمر عتية — صارعتها فوجدتها لاتقهر
تهوى الشموخ ولاشموخ وانما — وهم،على طول المدى يتكرر
قل للآلي جاؤوا الحياة جلامداً — كصخورها والصخر قد يتفجر
اني نزلت بها كنسمة زهرة — مازال يلفحها الهجير ويصهر
قدر منيت به ولما التمس — منه الخلاص، لأنني لا اقدر"
(ص١٢٨،ت١٩٨٦م)

انه يعلن الهزيمة ويستسلم،لكنه في النهاية دوماً، يعاود– أو يعاوده– البحث التألم،الرفض،التمزق بكلمة واحدة يعاوده او تعاوده ثورته الوجودية على الوجود.. مادام موجوداً.

رقصة البالا الشعبية ..

المنافسة والتفاخر بين جمهور الشعر الغنائي

فن البالا من الفنون الشعبية المنتشرة في القرى اليمنية وفيها تقام الرقصات الشعبية مع الغناء في حلقات سمر ليلية مع الضرب على الايقاع الغنائي الراقص، ويقفان في صفين متقابلين ويقف الشاعر الغنائي في الوسط مع الملقن وشعر البالا من الأشعار التي تبنى على قافية واحدة على شرط الاستمرارية في الأغنية التي يرددها الجميع وتسلي على الخاطر وتكون البالا في حفلات للسمر في بيت معين أوقرية وكثيراً مايهدف التفاخر بين الفريقين بالكلمات الغنائية والمدح والتنافس وقد تؤدي إلى بعض حالات الشجار بين الفريقين.

د.زينب حزام

وتقول إحدى كلمات رقصة البالا
والبالا والليل البالا
بكر غبش سائر في ارض الحبش
والبالا والليل البالا
بكرت مثل المسافر والطفر في البكاء
وكان زادي مع القمة مثل الحجر
والبالا والليل البالا
وفي رقصة البالا مع الأغنية الشعبية يمكن ان يقف فريقان من النساء
لتأدية الأغنية او فريق من الرجال ويستمر السمر حتى مطلع الفجر
ورقصة البالا من الفنون الشعبية الخالدة التي تم توثيقها والمحافظة على استمراريتها خاصة في المهرجانات الشعبية في منطقة حضرموت ومنطقة اب التي سيقام فيها المهرجان الفني والثقافي للاحتفاء بالذكرى السابعة عشر للعيد الوطني وفي هذا المهرجان الكبير ستشارك فرقة الرقص الشعبي لمدينة اب في رقصة البالا الشعبية والتي تعطي الوجه الحضاري والتاريخي للمجتمع اليمني ومهما كانت نوعية البيئة بغيرها، ان في النمط الفني والتعبير الادبي وان في النغمة الموسيقية والحركة الادائية التطبيقية اذا جاز لنا القول.
فالفن الاصيل كذلك ايا كان نوعيه، تحمله سمات التأثير والتأثر ولاتتخلد أصالة الفن اذا كانت وحيدة أي منقطعة الصلات، لان الفن نتاج المجتمع والمجتمع امتداد لغيره فالماضي الانساني متواجد دائماً في حاضر الإنسان فالتقاليد الاجتماعية فهي تعبير عن الرمز الثقافي والاقتصادي لهذا او ذاك المجتمع.
والفنون الشعبية بشكل عام، كما اطلق عليها في العصر الحديث، تمثل الاصالة الوجدانية في التعبير الثقافي والاجتماعي اليمني الموحي به من اعماق الاحساس الشعبي الوطني والروحي بسجية انسانية تعبيرية خاصة ترفدها وتحفزها للنماء دوماً عوامل الحياة ومؤتراتها المختلفة.
والفنون الاصيلة في مجتمع ماليست منقطعة الصلات والجذور والعادات والقوانين والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والفنون والملابس والأذواق والمأكل والمشرب واللهجات وخصائص الفكر الانساني نفسه ليست وليدة الحاضر، ولكنها حصيلة تجارب وخبرات تمثل تراثاً يمكن تتبع احواله في الماضي القريب او البعيد ومن خلال هذا التراث تتشكل شخصية الجماعية الانسانية وتتحدد درجة وعيها الحضاري.
اما انقطاع الجذور وانتفاء الصلات بالنسبة للفن بل للثقافة عموماً مايعنيه هذا، هو انتفاء الاصالة والسيادة التسطيح.
وافتقار الفن، وتغليب الترقيع من هنا ومن هناك حتى يصبح الفن مشوهاً بلا هوية او مضمون لايسر شكلاً او مضموناً ولانعني بتأكيدنا عن شرعية الصلات والتأثير والتأثر في مجالنا الفن او غيره، لانعني التبعية وفقدان الهوية والتميز الفني والثقافي وانما التحويل منوط بملكة الإبداع عبر نسيج الكلمات والنغمة الموسيقية فالذي يوحي به التأثير والتأثر من خارج المحيط البيئي المحلي قد يفجر ينابيع بل انهاراً متدفقة من الفنون الحية في البيئة اليمنية ورقصة البالا خير دليل على ذلك، فهي تشمل كل العادات والتقاليد اليمنية وتترجم مشاعر وهموم الناس.
ومن هنا يتأسس الفن ويكتسب ملامح محلية تتجدد خصوصيته على مر الايام والليالي فتبرز شخصيته للعيان بهوية فنية وطنية راسخة لاتزيلها العوارض مازال طابعها ممثلاً بجوانب شتى من حياة المجتمع اليمني الى يومنا هذا خصوصاً التراث الحميري.
وهناك العديد من الرقصات الشعبية تختلف من منطقة الى آخرى وترتبط مباشرة بحياة البحر التغني بجمال مناظر الجبال عند المساء كما نجد الفن المتميز لاغاني الصيادين في صيره ونجد تنوعاً في التعبير الوجداني واختلاف في التصوير والطرح ونجد صوراً مختلفة للرقص الشعبي مثل " الشرح " المنتشر في الاعراس والحفلات الشعبية، ورقصة الصيادين المنتشرة في الاحياء الشعبية ويصحب هذا الرقص الجميل رائحة العود والبخور الذي تميزت به اليمن منذ القدم، تصحبها جلسات شرب القهوة اليمنية المميزة ونجد مجالس القات منتشرة في اليمن وتشمل مجالس للرجال ومجالس للنساء يتخلل بعضها جلسات الطرب والغناء والرقص اضافة الى الرقصات المرتبطة بحياة الانسان اليمني في الريف والمدينة والبحر والصحراء والتي تمثل العادات والتقاليد اليمنية وكذلك الفروسية في ميدان الرجولة وهناك رقصات يمنية يشهر فيها الراقصون السلاح من سيوف وخناجر وبنادق، وهم يرقصون على انغام الطبول بوضوح في المناطق الشمالية من اليمن.
اضافة الى العديد من الرقصات الشعبية المختلفة المتعلقة بالصيادين اليمنيين والبحر تصحبها الاغاني الشعبية والدعاء الى الله..ليمنحهم الرزق الوفير من الصيد والتغلب على مخاطر البحر وعودتهم بالسلامة لذويهم وهذه الرقصات الجميلة نجدها من المناطق الساحلية اليمنية.
واذا كان بعض هذه الفنون قد ارتبط بتسمية بما يوحي انها قد وفدت من خارج اليمن، فإن الدارس لهذه الفنون والمتعمق في تكويناتها وتفاصيل تقسيماتها نجدها يمنية من حيث جوهرها ونمطها الاصلي مع ملامح التأثير الخارجي في بعض الاوجه او الجوانب وذلك على شكل طقوس احتفالية ربما لها صلة بعادات وتقاليد دينية او اجتماعية قديمة وفدت من المناطق الشعبية و تأثرت الفنون الشعبية في عدن بالفنون الشعبية الهندية.
ان الفنون الشعبية التقليدية في اليمن لها اصالتها في اساسها يمنية في مبناها متميزة في النكهة والطعم ما يجعلها ذات شخصية متفردة بطابعها البيئي الخاص.
ان الفنون التقليدية في اليمن تعكس اوجها من التراث الحضاري الانساني العربي وربما الهندي والافريقي في بعض المكونات وهذا شأن التأثر الحضاري على مدى الازمنة والعصور.
ان التراث الفني اليمني يمثل اليوم احد أوجه التنوع والتفاعل الاصيل في هيكل الفنون التقليدية في اليمن، اكان ذلك على شكل ابداع وجداني او عطاء علمي تطبيقي يمثل العادات والتقاليد اوجه من انماط الحياة الاخرى.

وفي رقصة البالا يجد المستمع لأغنيتها ومشاهدة رقصتها البسيطة التي تحمل حرية الحركة وحرية الايقاع والكلمات الشعرية البسيطة المؤخذة من الواقع، ربما تحمل هذه الرقصة الغنائية بعض السلبيات لأنها تهدف المفاخرة وربما تنتهي بالعراك ولكنها جزءا من التراث الشعبي التاريخي الزاخر، قائم على اجناس حضارية عميقة متوالية ومتعاقبة

جراحات التجميل وماخفي كان أعظم

إعداد / ميسون عدنان الصادق

مهما قيل عن تقدم جراحات التجميل وعن معجزاتها الا ان الوقائع تشير الى عدم وجود عملية من هذا النوع دون ان تكون هناك نسبة ولو كانت ضئيلة من المخاطر خاصة بعد ان اخترق هذا المجال كثير من الباحثين عن الكسب السريع الذين اصبحوا يعيثون فيه فساداً... لذلك يلزم الانتباه فحلم الجمال والشباب الدائم غير مطلق... بل له حدود!..

لحلم ولماذا؟

في معظم انحاء العالم تثبت الإحصاءات ان عدد الاشخاص الذين يلجأون لجراحات التجميل في تزايد مستمر ... وفي دراسة أجريت في فرنسا، اظهر الباحثون ان حوالي ٤٠٠ الف فرنسي قد اجريت لهم جراحات تجميل خلال عام ١٩٩٠م اما التحسين مظهرهم او لاصلاح ماتلف بسبب حادث او مرض واغلب هؤلاء يعربون عن رضاهم عن النتائج ... ولكن هذه الدراسة نفسها تشير للأسف الى ان بعض الاطباء الذين يسعون لجراحات التجميل هم في الحقيقة لايسعون الا للكسب السريع قد اقتحموا هذا التخصص المربح والنتيجة اصابة مئات الاشخاص سنوياً بحالات تشوه واغلبهم لايجرؤ على رفع صوته لشكوى اما خوفاً من ان يصبحوا موضع سخرية واما خوفاً من تكاليف القضايا..

أخطاء الأطباء تكلف الباحثين عن الصبا والجمال ثمنا باهضا!

الواقع ان اغلب حالات الفشل ترجع الى اخطاء طبية يقوم بها اطباء بلاخبرة غير مؤهلين لاجراء مثل هذه العمليات .. في فرنسا هناك ٣٩٠ طبيباً يعترف بهم مجلس نقابة الأطباء كمتخصصين مؤهلين في هذا المجال: بعد دراسة الطب يخضعون لدورات تأهيل في مجال الجراحة العامة لمدة ثلاث او اربع سنوات يتبعها تخصص في جراحة التجميل لمدة عامين او ثلاثة .. تمنحهم بعدها لجنة متابعة لنقابة الأطباء صلاحية إجراء جراحات تجميل وترميم وإعادة تشكيل.
ولكن الى جانب هؤلاء هناك مالايقل عن ٢٠٠٠ طبيب يمارسون العمل في هذا المجال دون تأهيل ومن هؤلاء تحدث وممتلئة بجيل من السيليكون .. في فرنسا يقدر عدد النساء الحاملات لهذا العضو الصناعي بـ١٠٠ الف سيدة و٧٠٪ من هذه الاعضاء تزرع بهدف زيادة حجم الثدي لاسباب جمالية بحتة و٣٠٪ فقط تزرع بعد استئصال الثدي عقب الاصابة

المشاكل.

الإضرار التي قد تنتج عن جراحات التجميل

السيليكون:

يبدو انه لايخلو من المخاطر عند استخدامه في الجراحات التقويمية... في أمريكا صدر قرار يمنع استخدامه حتى تصل لجنة مكونة من مجموعة من الخبراء الى رأي حاسم بشأنه.. وزارة الصحة الفرنسية ايدت القرار وطلبت من الجراحين عدم ممارسة عملية زراعة ثدي ممثلئ بالسيليكون.. قبل هذا القرار كان السيليكون شائع الاستخدام على الرغم من الاضرار التي لحقت بالكثيرين من جرائه.
بالاضافة الى هذه الاضرار هناك ثدي صناعي من السيليكون عبارة عن اكياس صغيرة مرنة احياناً تكون مغطاة " بالبوليورتيان" بالسرطان.
ما الذي نأخذه على هذه الاعضاء الصناعية؟ أي خطر تحمله للنساء؟ يوضح احد الاطباء انه في عدد كبير من الحالات يحدث انقباض وتقلص في الانسجة المحيطة بالجسم المزروع يتطلب في اغلب الاحيان اجراء عملية جراحية جديدة... وبعد الجراحة فإن خطر الاصابة بمرض او عدوى يصبح كبيراً واذا حدث يجب اخراج الجسم المزروع على عجل كما ان استهلاك جراب او كيس السيليكون وتلفه عند التعرض لصدمة عنيفة قد يتبعه حدوث تشقق لهذا العضو الصناعي من ثم يتحرر السيليكون بداخله واخيراً فإن بعض الباحثين لايستبعدون احتمال وجود علاقة بين زرع العضو الصناعي من السيليكون وبعض الامراض الراجعة الى إفراز الجهاز لاجسام مضادة تهاجم مكوناته ويمكن ان تؤثر على كل أجزاء الجسم..

مساوئ أخرى

السيليكون–الجيل يتسبب في خلق مناطق ضلال تظهر عند إجراء أشعة على غدد الثدي فتحجب اكتشاف الأورام ان وجدت ما يستدعي إجراء عمليات كشف أكثر دقة.

يجب على كل سيدة قبل الاقدام على اجراء جراحات التجميل اتخاذ الاحتياطات التالية:-

١–تسأل نفسها عن سبب رغبتها في إجراء هذه الجراحة هل هو حقاً سبب ضروري ام يرجع لمجرد الرغبة في تغيير خارجي للمظهر بعد الاصابة بصدمة عاطفية او نتيجة لبعض التعليقات من أشخاص محيطين بها مثلاً .. وهي أسباب زائلة لاتستدعي باي حال من الاحوال المخاطرة.
٢–التأكد من ان الطبيب الذي سيجري الجراحة مؤهل لعمل مثل هذه العمليات.. ومن الافضل الرجوع الى نقابة الاطباء في المكان التابع له الطبيب لمزيد من الحرص والتأكد..
٣–لايجب ان تثق المرأة في الجراح الذي يخبرها بأن النتيجة سوف تكون مذهلة وان الجراحة ليست لها أي مخاطر فاي تدخل جراحي لابد ان يحمل نسبة ولو ضئيلة للغاية من المخاطرة وكذلك يجب ان تبتعد عن الجراح الذي يقترح عليها اجراء عمليات إضافية الى جانب تلك التي جاءت من اجلها.
٤–الطبيب يجب ان يحدد لها الوقت الذي ستستغرقة بعد العملية قبل ان تستعيد حالتها الطبيعية او المتاعب التي قد تلاحقها فيما بعد في حياتها الخاصة.
٥–على المرأة ان تستفسر عن المكان الذي ستجري فيه الجراحة "فبعضهم يجريها في عيادات خاصة" ويجب التأكد من ان المكان به غرفة عمليات مجهزة واطباء تخدير وغرفة إنعاش.
٦–ضرورة إجراء الفحوصات اللازمة قبل الجراحة.. والاستفسار عن التكلفة النهائية للعملية.